ثقتهم بها غير محدودة اذ لا يتكر ما للحب من السلطان على المخلوقات وما لهُ من التأثير على القلوب والافكار. وما كان الولد يميل بالطبع الى والدته اكثر من سائر الناس فهو لا يرى الاَّ رأيها ولا يتبع الاَّ ارادتها وعليهِ فلا يجمل بالأُم ان تهمل الاستفادة من هذه الثقة وتكل امر العناية باولادها الى الخدم الذين يجهلون قوانين التربية بل اذا كان فيهم من يعرفها فمن اينَ لهُ نظرات الأُم المؤثرة وابتساماتها الحلوة التي قد يكون منها اصدقُ مهذّبٍ واحسن رادعٍ عن الشر بل من اين لهُ الحنان الوالديّ الذي يجمع الصغار تحت جناح الحب والانصاف ويلم فيما بينهم بلحمة الاخاء والوفاق بحيث لا يكون ثمَّة تحاسدٌ او تباغض بل يهتمُّ كلٌّ من الاخوة بتقديم مصلحة اخيهِ على مصلحة نفسهِ. اما الاطفال الذين يحرمون هذه العناية فيشبون وهم اعداء لانفسهم ولغيرهم لا يميلون بل الاطلاق الى نفع سواهم واما هذا الميل فانهُ ينمو فيهم تدريجًا بعناية والديهم حتى يبلغوا طوراً يرون فيهِ لزوم خدمة غيرهم ويقدرون الفائدة التي تعود عليهم منها حق قدرها فيقومون بها عن طيبة خاطرٍ ويعلمون الواجب عليهم نحو اخوانهم الذين تجمعهم واياهم جامعة البشرية

ولكنَّ ما قالهُ شاعرنا الكريم حافظ افندي ابرهيم

الأُمُّ مدرسةٌ اذا اعددتها اعددت شعبًا طيبَ الاعراقِ
الامّ روضٌ ان تعهّدهُ الحيا بالرىّ اورق ايما ايراقِ
الأُمّ استاذُ الاساتذةِ الأُلى شغلت مآثرهم مدى الافاقِ

امرأتان عظيمتان

صدر في اوائل هذه السنة كتابان نفيسان احدهما يصف اعمال سيدة اميركية اسمها حنة ادمس والآخر يصف اعمال سيدة اوربية اسمها بارونة سوتنر والسيدتان من اكبر المتفضلات على نوع الانسان. وقد رأينا في مجلة المجلات الانكليزية كلامًا مسهبًا عنهما وعن كتابيهما فاقتطفنا منهُ ما يأتي

حنة ادمس

كان اليونان يحسبون ان النساء الفضليات هنَّ اللواتي لا يعرَف عنهنَّ شيءٌ غير ازواجهنَّ. اما الآن فما من امرأة فاضلة الاَّ واسمها معروف واعمالها مشهورة

اذا كان روزفلت اشهر رجال اميركا الا ن فحنة ادمس اشهر نسائها وهي ليست غنية ولا جميلة ولا وجيهة ومع ذلك ما من احد ينازعها الشهرة او ينكرها عليها . وهي لم تطلب الشهرة ولا سعت اليها ولكن الشهرة جاءتها منقادة فهي ملكة نساء اميركا من غير منازع وقصرها مأوى المساكين وعرشها قلوبهم وقد وصفت هذا البيت وكيفية انشائهِ في كتابها الذي صدر حديثاً

ولدت سنة ١٨٥٧ وتوفيت امها وهي طفلة فقام ابوها على تربيتها وهو فلاح متوسط الحال وكان تقياً يخاف الله ويعمل الخير وهي اصغر اخوتها واخواتها وقد ظهر عليها من صغرها انها شديدة الاحساس تنظر في الامور كأن نظرها يخترق حجاب الغيب . فقبل ان بلغت العاشرة من عمرها تنبأت بما ستصير اليهِ ولو عن غير قصد منها فانها كانت تتكلم مع ابيها عن احوال المساكين فسألتهُ عما يحملهم على السكن في اكواخ قذرة مزدحمة . ولما اخبرها عن سبب ذلك قالت لهُ انها متى كبرت ستبني لنفسها بيتاً كبيراً ولكنها لا تبنيهِ بين البيوت الكبيرة بل بين هذه الاكواخ الحقيرة

وكانت تحترم اباها احتراماً يقرب من العبادة وتطيعهُ في كل شيء . وكان هو على جانب كبير من الحكمة والرصانة كما يظهر من الجواب التالي وذلك انها سألتهُ يوماً عن القضاء والقدر فقال لها « ان عقلي وعقلك لا يدركان هذا الامر فلا تشغلي نفسك بهِ ولا يلام الانسان اذا لم يدرك امراً فوق طاقتهِ ولكنهُ يلام كل اللوم اذا ادّعى ادراك شيء وهو لا يدركهُ »

والظاهر انهُ كان يُعنى بتقوية عقلها وتثقيفهِ ويحسب انها تدرك الامور التي يدركها هو فكان يعطيها شلنًا كلما قرأت سيرة رجل من الرجال الذي ترجمهم المؤرخ اليوناني فلوطرخس وشلنًا كلما قرأت كتاباً من كتب ارفن الكاتب الاميركي التي ذكر فيها سيرة وشنطون . ثم وضعها في مدرسة عالية من مدارس البنات حيث تقرأ كتب الادب والفلسفة فصارت لفتها الكبرى قراءة مشاهير الكتّاب وامراء الكلام مثل كارليل ورسكن وبرونج وكانت تقرأ الانجيل باليونانية وتتلو صلواتها باللاتينية . وحاول البعض ان يجعلوها تنضم الى المرسلين وتذهب معهم للتبشير فلم يفلحوا وقالت بعد ذلك ان اجتهاد هؤلاء الناس لاقناعها بما لا تميل اليهِ قوّى فيها الميل الى ما حسبتهُ واجباً عليها وما اختارتهُ عملاً لحياتها

ولما اتمت دروسها في تلك المدرسة صممت على ان تدرس الطب وتسكن في احياء الفقراء لتعالجهم مجاناً فدخلت مدرسة فلادلفيا الطبية وهي لتعليم النساء صناعة الطب وكانت مصابة

يافعة في ظهرها منذ صغرها فاشتدَّ الالم عليها وأُصيبت بانحطاط عصبي عام فاشير عليها ان تترك الدرس وتقيم سنتين في اوربا فسافرت اليها ورأت في حي المساكين في مدينة لندن من الفقر المدقع والشقاء المقيم ما اذهلها . فغابت لندن وعظمتها عن عينيها ولم تعد ترى منها الاَّ تلك الاحياء وبقيت صورة ذلك الشقاء في ذاكرتها سنتين كانها شوك ينخس ضميرها . ورجعت الى اميركا ثم عادت الى اوربا ورأت احياء المساكين في لندن مرةً اخرى وذهبت الى رومية ومنها الى اسبانيا ورأت هناك مراعي الثيران . رأت خمسة ثيران وخمسة افراس تعذَّب ثم تقتل شرَّ قتلة فاشمأزَّ رفيقاتها من ذلك المنظر ولم يستطعن القيام معها في المشهد فتركنهُ وخرجن ولبثها على صبرها وقلة شعورها . اما هي فرأت كل ذلك كأنها في حلم ولم تفق الاَّ في المساء فشعرت حينئذٍ كأنها ارتكبت وزراً كبيراً وانها اماتت ضميرها وعواطفها وهي تحسب انها متأهبة لعمل خيري عظيم . ونهضت في الصباح وقد عقدت نيتها على عمل تعمله ولو لم تعرف كيف تشرع فيهِ . وعادت الى لندن وزارت احياء المساكين والملاجئ التي انشئت لم لعلها تهتدي الى الطريقة التي تجري عليها في بلادها . ثم رجعت الى شيكاغو واختارت بيتاً في قلب احياء العمال حيث لا مدارس ولا تدابير صحية ولا وسائل للراحة والارتقاء وعزمت ان تقيم هناك وتنقطع لاصلاح شؤون السكان بالتعليم والتهذيب وبما تستطيعهُ من المساعدة المادية وانضم اليها غيرها من السيدات وكنَّ يمرضن المرضى ويكفنَّ الموتى ويعتنين بالنفاس وجعلن ذلك البيت داراً لتهذيب الاخلاق وانعاش النفوس ثم انشأنَّ الاندية والمكاتب ودور القراءة ومعارض الصور وجمعيات التعاضد وبيوت الضيافة وساحات الالعاب الرياضية . ولم يأنفنَّ من اضافة المشردين والفوضويين والذين نبذتهم اوطانهم والذين رأوا مفاسد الحكومات ومظالم المعاملات فهربوا من جورها الى حيث يديرون التدابير لاصلاحها فصارت مضايفها حرماً لكل افاق ومنبوذ يلجأون اليها كما كانوا يلجأون الى هياكل الآلهة في قديم الزمان وهي مثل قائد عظيم تقود جيش العمال تعزي الحزاني وترشد الضالين وتساعد المحتاجين وهم يرفعون عيونهم اليها كأم حنون ومرشد حكيم .

واشتهرت دارها في شيكاغو وصارت اشهر مباني تلك المدينة العظيمة واتسع نطاقها سنة بعد سنة حتى اضحت هيكلاً للبشرية بلغ في ارتفاعهِ محبة الله وفي اتساعهِ حاجات الانسان وقد زارها كثيرون من المشاهير مثل لورد مورلي وفرولك هريسن وبنيامين كد وجون برنس وملك البلجيك وغيرهم واشتركوا في المباحث التي تقام فيها .

البارونة ستر

ان جنة ادمس المذكورة آنفاً من العامة ولدت في بلاد جمهورية ومن بيت جمهوري واما البارونة ستر فمن اخص الخاصة وهي يوڤا صوفيا فليتا كونتة كنسكي ابنة الشريف المرشال فرنسيس يوسف كونت كنسكي . وجنة ادمس اندفعت الى العمل الذي انقطعت لهُ بما رأتهُ من الشقاء في احياء الساكين واما البارونة ستر فاندفعت الى عملها بقراءتها كتب سبنسر وبكل وبرات وعملها السعي الى منع الحرب وتوطيد السلم

اضاعت امها ثروة ابيها بالمقامرة فاضطرت هي ان تعمل عملاً تعيش بهِ في بيت البارون ستر فاحبها ابنهُ واراد التزوج بها فمنعتهُ امهُ من ذلك فاضطرت ان تخرج من بيت ستر وتخدم الفرد نوبل ككاتبة سرٍّ لهُ ومدبرة لبيتهِ وكان قد شاخ من غير ان يتزوج وجمع ثروة طائلة بعمل الديناميت الذي استنبطهُ فتبعها البارون ستر واقترن بها وهاجرا الى الڤوقاس لان اهلهُ لم يكونوا راضين عن اقترانهِ بها ثم رضوا فعاد معها الى بيت ابيهِ

ومرَّت السنون ونشبت الحروب والبارونة ستر لا تهتم بها ولا تلتفت اليها وبلغت الاربعين من عمرها وهي على هذه الصورة وكانت قد اشتهرت بمؤلفاتها . واتفق ان واحداً ذكر امامها ان هوجسن برات انشأ جمعية للسلم في لندن فشغل هذا الموضوع بالها وتملَّك منها فالفت فيهِ رواية موضوعها « الثوار السلاح » وعرضتها على طابعي الكتب فلم تجد من يجسر على طبعها لما فيها من الانتقاد على التجنيد واخيراً وجدت واحداً اشد جسارة من غيره فطبعها فراجت اي رواج

وقد بينت في الكتاب الذي نشرتهُ الآن كيف اتصلت بالفرد نوبل وكيف اقنعتهُ بوضع جائزة السلم . فان ام البارون ستر ارادت ان تخرجها من بيتها لكي لا يبقى لها اتصال بابنها فارتها اعلاناً في جريدة يقال فيهِ ان رجلاً شيخاً واسع الثروة ساكن في باريس يطلب سيدة متقدمة في السن تعرف بعض اللغات لتكون كاتبة سرٍّ لهُ ومدبرة لبيتهِ . فكتبت اليهِ تعرض نفسها لهذا المنصب ثم وجدت انهُ هو الفرد نوبل الغني الشهير . وقد قالت عنهُ في كتابها انهُ كان يسرُّ مسروراً لا يوصف اذا حدثتهُ عن العالم والانسانية والفنون والحياة والخلود . وقد تجنب اجتماعات الناس لانهُ يرى فيها من السخافة والرياء ما تنفر منهُ طباعهُ . وعنده ان نوع الانسان سيرتقي ارتقاء عظيماً حينما يصير المرء يولد بدماغ ارقى من دماغهِ الحالي اما الناس الذين عاشرهم فلا يثق باكثرهم لكثرة من رآى بينهم من الحادعين المنافقين . وكان يستصغر نفسهُ ويحسب ان الناس لا يحبونهُ بل يتملقونهُ تملقاً لما يعطونهُ من سعة ثروتهِ .

ولما قرأ روايتها « القوا السلاح » المذكورة آنفاً كتب اليها يقول

« أتممت الآن قراءة روايتك البديعة . يقال ان في الدنيا التي نحن فيها لغة — وهي لا تحتاج الاَّ الى لغة واحدة — وعندي ان روايتك يجب ان تترجم الى هذه اللغات كلها . كم قضيت من الوقت حتى كتبت هذه الرواية العجيبة . انتظر ان تخبريني بذلك حينما أراك واصافح تلك اليد الباسلة التي شهرت الحرب على الحرب »

وكتب اليها في السنة التالية معرباً عن سروره بقيامها على الحرب التي هي افظع الفظائع ثم قال اما انا فاني انتظر الآن الارتحال الى عالم آخر حيث لا تأثر النفوس من هذه الفظائع

وجاء الى مؤتمر السلم لما عقد سنة ١٨٩٢ في برن بسويسرا وزارتهُ الكونتسة متر وزوجها في زورك وكانت قد انشأت مجلة شهرية تنادي فيها بوجوب ابطال الحرب فقالت لهُ انها سترسلها اليهِ لعلها تجعلهُ من انصارها فقال لها افعلي لعلك تبعثي عواطفي التي كلت من شدة ما لقيت من الذين عاشرتهم وعرفتهم . وكان قد صار ميالاً الى الاشتراكية يقول انهُ لا يليق باحد من الاغنياء ان يترك ثروتهُ لذويهِ لئلاَّ يضرهم باعطائهم مالاً لم يتعبوا في اكتسابهِ . وكانت تتكلم معهُ مرة عن الحرب وابطالها فقال لها ان معاملهُ التي تصنع الديناميت قد تقلع في ابطال الحرب قبلما يبطلها مؤتمرها لانهُ اذا التقى جيشان في يوم من الايام وافنى كلٌّ منهما الآخر فالمرجح ان كل الامم المتمدنة ترى فظاعة ذلك وتتفق في اليوم التالي على صرف جنودها وابطال الحروب . واعرب لها حينئذٍ عن رغبتهِ في تخصيص جانب من ثروتهِ يعطى ريعهُ جائزة كل خمس سنوات لمن يعمل افضل عمل لتعميم السلم وقال يجب ان تعطي هذه الجائزة ست مرات في مدة ثلاثين سنة فاذا لم يقلع الناس في غضون هذه المدة عن اثارة الحروب فلا بدَّ من ان يعودوا الى حالة التوحش والهمجية . ثم قال لها وليس مرادي ان تبطل الدول تجنيد الجنود او تجبر على حل مشاكلها بالتحكيم كلاَّ لان ذلك لا يتأتى الاَّ بالتدريج ولكن مرادي ان تتفق الدول وتتحالف على مقاومة كل دولة تبتدئ بالعدوان فتصير الحرب ضرباً من المحال وتضطر اشدها ميلاً الى الخصام ان تقبل بالتحكيم او تلزم السكينة . ولو اتسع نطاق المحالفة الثلاثية حتى شمل كل الدول لانتفت الحروب من الدنيا

وتوفي نوبل في اواخر سنة ١٨٩٦ واوصى بخمس ثروتهِ كلها ليعطى ريعها جائزة لمن يفوق غيرهُ في نشر الاخاء بين الناس وابطال الحروب وتعضيد مؤتمر السلم رجلاً كان او امرأة . فرأت هذه السيدة ان الزرع الذي زرعتهُ نما وجاء باحسن الاثمار